العولمة وأخلاقيات الشباب

مصطفى النشار ■

لا شكَّ أنَّ «العولمة» تعدُّ أهم مقومات العالم المعاصـر؛ حيث أخـذت المسـاحة الأكبر من الحـوار والنقاش على السـاحة العالميـة في النصف الثاني من القرن العشـرين، فضـلاً على أنها لا تزال تمثل فـي مطلع القـرن الحـادي والعشـرين ظاهرة الظواهر فـي كل مجالات الحياة الثقافية والسياسـية والاجتماعيـة والأخلاقيـة والاقتصادية علـى الصعيد العالمي.

ومن هنا تأتـي أهمية بحث تأثيرهـا في كل هذه المجالات على حياة الإنسـان فـي العالميْـن العربي والإسـلامي، وخاصة على الشـباب؛ حيث إنـه الأكثر تأثـراً بكل ظواهـر العولمـة، وخاصة فـي المجالين الأخلاقي والاقتصادي.

■ أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، جامعة القاهرة.

أولاً: ما هي العولمة؟ ومن هو الشباب «المعولم»؟

العولمة ـ فـي اعتقادنا ـ: ظاهرة تاريخية[1] يقصـد بها بوجه عام ذلك التقارب الذي حدث بفعـل آليات وعوامل تكنولوجية عديدة اسـتحدثت بين الشـعوب والدول إلى الدرجة التي دعت البعض إلى القول بأن العالم صار أشـبه بقرية واحدة، وقصدوا بذلك أن الكل يتأثر بالـكل ويؤثر فيه نتيجة سـرعة انتقال المعلومات وسـرعة انتقـال رؤوس الأموال والأفراد والسـلع، ونتيجة التشـابه الذي بدأ يتنامى ويزداد بين ثقافات الشعوب المختلفة إلى الدرجة التي أصبح من الممكن فيها الحديث عن خصائص واحدة يشـترك فيها معظم الناس في أرجاء العالم، وجملـة هذه الخصائص تتبدى بوضوح في معظم شباب العالم الآن؛ فالشاب «المعولم» هو ذلك الشاب الذي تراه في جميع الأحوال أنيقاً يلبـس الزي الغربي المعتاد، ففـي الصباح كما في المساء تجده يلبس إما الكاجوال المتمثل في البنطلون الجينز والتِّي شيرتْ، أو تلك البدلة الأنيقة ذات الغراڤات الشيك بحسب موضة العام، وتجده في معظم الأحـوال حاملاً «اللاب تـوب» والتليفون المحمول آخـر موديل. وهو الذي لا يتحدث إلا بلكنة تنمُّ عن أنه يجيـد اللغات الأجنبية، وخاصة اللغة العالمية الشـائعة: اللغة الإنجليزية. وهو الحريص علـى أن يتصفح المواقع المختلفة للشـبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) ويتباهى بأنه يحمل سـيرة ذاتية C.V. تتضمـن حصوله على الشـهادة الدولية لقيادة الحاسـب الآلي ICDL، وعدة دورات متقدمة في اللغة الإنجليزية أو لغة أجنبية أخرى.

وكثيراً ما يحب أن يلتحق بعد تخرجه من الجامعة سـواء أكانت خاصة أو حكومية ـ ويفضـل أن تكون الجامعة الأمريكية أو الألمانية أو الفرنسـية مثـلاً ـ يحب أن يلتحق بوظيفة في شـركة مـن الشـركات الأجنبية متعددة الجنسية؛ حتى يحصل على راتب شهري بالدولار يفوق ما حصل عليه والداه

1 ـ انظر كتابنا: ضد العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الأولى 1999م، ص 48 وما بعدها.
وأيضـاً كتابنا: ما بعد العولمة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشـر والتوزيـع، الطبعة الثانية، القاهرة 2007م، ص 40 - 42.

في كل سنوات خدمتهم الحكومية أياً كانت المهنة التي يعملان بها، وأياً كانت سنوات خبرتهم في هذه الوظيفة الحكومية أو تلك. وقبل كل ذلك وبعده فهو عادة ما يفضل أكل الوجبات الجاهزة «التيك آوي» التي تعدها مطاعم بعينها على الطريقة الأمريكية ولا يُرى إلا وفي يديه «الكانز» و«البيريل» والسيجارة المارلبورو أو الكنت.. إلخ.

والحقيقة أن هذه الخصائص السابقة الإشارة إليها للشباب المعولم إنما هي خصائص إيجابية لشاب نجح في أن يلتقط الخيط الإيجابي لعصر العولمة، ونجح في أن يتعامل مع هذا العصر بآلياته ومؤهلاته، ومن ثم فهو شاب عصري ناجح بالمقاييس المعرفية والاقتصادية، وإذا ما أضاف إلى تمتعه بالمؤهلات السابقة كونه شخصاً متواضعاً تقياً متحلياً بالفضائل الأخلاقية والدينية التي تمثل العنصر الأهم في هويتنا الثقافية القومية لكان بكل المقاييس النموذج الأمثل للشاب الذي نطمح أن يكون عليه كل أبنائنا؛ فنحن نطمح أن يكون شبابنا شباباً عصرياً يمتلك المعرفة بكل آليات العصر متمسكاً بتلابيب كل مقوماته الإيجابية من تفكير علمي منظم، وقدرات خاصة في التواصل مع الآخرين ومنافستهم في كل مجالات العمل المختلفة، وفي الوقت ذاته يكون شباباً متمسكاً بكل قيم هويته الأخلاقية والدينية؛ حيث إن هذه القيم الأخلاقية والدينية التي تمثل عناصر هويتنا القومية هي التي ستجعله قادراً ـ رغم تعامله مع الآخر بلغته وآلياته العصرية ـ على توظيف كل إمكانياته المعرفية وإبداعاته العلمية لخدمة مجتمعه وبيئته في المقام الأول، وستجعله بحق ابناً لهذا المجتمع وقوة دافعة لتقدمه ورفعته.

وفي المقابل ستجد شباباً معولماً من نوع آخر، وهؤلاء الشباب قد يشتركون مع أقرانهم السابقين في المظهر الذي يظهرون به وفي امتلاك ثقافة العصر وآلياته؛ لكنهم يبرعون في تحويلها إلى تحقيق أكبر قدر من السعادة الفردية الزائفة؛ حيث تجد هذا الشاب يجلس خاملاً بالساعات أمام جهاز الكمبيوتر يتصفح المواقع الإباحية، ويدير المحادثات (الشات) مع فتيات ساقطات وشباب فاسد منحل أخلاقياً، ويبحث عن كل ما يقوي لديه القدرة الجسدية على ممارسة الرذيلة، فيتجه إلى إدمان المخدرات

بأنواعها، ويبحث عن التمويل اللازم لممارســاته اللاأخلاقية تلك بالســطو على حســابات غيره من البنوك وبطاقات الائتمان عبر إتقان آليات الهاكرز المعروفة والمتجددة، وذلك بعد أن يكون قد جرب وقام بكل وسائل النصب والسرقة من المحيطين به ومن نظرائه.

إن هذين النمطين من أنماط الشــباب المعولــم في عصرنا يمثلان في الحقيقة استثناء من الظاهرة: ظاهرة الشــباب المعولم؛ فالواقع يشير إلى أنه من النــادر أن تجد ذلك الشــاب الــذي يمتلك المهــارات التي تؤهله للمنافســة العالمية في عصر العولمة وفي الوقت ذاته تجده من الملتزمين أخلاقياً ودينياً، فمن المقولات الشائعة لدى الكثيرين من دعاة العولمة «أن لا ســبيل لفصل علمنة المجتمع عن عولمته[1]»، وهذه إشــارة إلى أنه لا يهم في عصر العولمة أن نتحدث عن قيم أخلاقية ودينية؛ لأن أساس التقدم في هذا العصر هو امتــلاك آلياته العلمية والتفوق الاقتصــادي وتحقيق القيادة من خلالها، وعلى الجانب الآخر فالقليل من شبابنا هو الذي انجذب ناحية الانحراف الأخلاقي بفعل ثقافة وآليات عصر العولمة.

وعلى ذلك فإن الخلط بين التوجه الإيجابي والتوجه الســلبي هو السمة الســائدة بين شــبابنا؛ فقد اختلطت لديهم القيّم الإيجابية بالقيم الســلبية لعصــر العولمة؛ نتيجــة انعدام الوعــي بالمعنى الحقيقــي للعولمة، ونتيجة لعوامل اقتصادية وسياســية واجتماعية عديدة فــي مجتمعاتنا العربية، تؤدي دوماً إلى إحباط الشباب وفقدانه للهدف، مما يؤدي إلى ذلك التوهان وتلك الحيرة التــي يعاني منها بين أن يكــون غربي الثقافة والهــوى قاطعاً صلته بثقافتــه القومية وقيمــه الأخلاقية والدينيــة، وبين أن يتحصــن في ثقافته القومية، ويتمســك بقيمــه الدينيــة والأخلاقيــة رافضــاً الثقافــة الغربية ومستجدات العصر كلها!

1 ـ پيتر باير، الخصخصة والتأثير العام للدين في المجتمع العالمي، منشــور ضمن كتاب: مايك فيذرستون، ثقافة العولمة، ترجمة عبد الوهاب علوب، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2000م، ص 370.

ثانياً: الآثار السلبية للعولمة ثقافياً وأخلاقياً:

وعلى ذلك فإن توعية شبابنا بظاهرة العولمة في جوهرها ومظاهرها مسألة ضرورية، فالمقصود الشائع عن العولمة ـ باعتبارها تمثل تحولاً اجتماعياً جذرياً، سيجعل من المجتمع الإنساني مجتمعاً موحداً في جوهره ومظاهره ـ مسألة لم تتحقق بعد[1]، وهي لن تتحقق؛ «فالاختلاف بين قطاعات البشر من ناحية نمط الحياة ورصيد المعتقدات تعدّ أكبر، والعناصر المشتركة أكثر عمومية من أن تسمح لنا ولو بتصور وجود ثقافة عالمية» على حد تعبير أنتوني سميث[2].

إن احتمالات نشأة ثقافة عالمية موحدة تعد ضعيفة ـ في نظر مايك فيذرستون ـ رغم كثافة التدفقات الثقافية العالمية وسرعتها في تدعيم الشعور بأن العالم كيان واحد

ولذلك فإن احتمالات نشأة ثقافة عالمية موحدة تعد ضعيفة ـ في نظر مايك فيذرستون ـ رغم كثافة التدفقات الثقافية العالمية وسرعتها في تدعيم الشعور بأن العالم كيان واحد[3]. فهناك عوائق كثيرة تحول دون عولمة الثقافة، تلك الثقافة الغربية الأمريكية التي يراد أن يتقولب فيها وتتأثر بها كل شعوب العالم. فأمركة العالم ثقافياً واقتصادياً هو المقصود الفعلي للعولمة، وهذه الأمركة لن تتحقق رغم كل ما نشاهده الآن من صور التأثر بالثقافة الأمريكية في شتى الجوانب[4]. وما ذلك إلا استناد إلى الفهم الواعي لحقيقة أن البشر خلقهم الله مختلفين في كل شيء، فكيف نتصور ـ ولو نظرياً ـ أنه يمكن صبهم في قالب ثقافي واجتماعي واقتصادي واحد. إن سلبيات هذا التصور الخاطئ لقولبة البشر تتمثل في:

1 ـ انظر ستيفن مينيل: عولمة المجتمع البشري كعملية اجتماعية بعيدة المدى، منشور ضمن المرجع السابق لمايك فيذرستون، ص149.

2 ـ أنتوني سميث، نحو ثقافة عالمية، منشور ضمن المرجع السابق لمايك فيذرستون، ص163.

3 ـ مايك فيذرستون، في مقدمة لكتابه «ثقافة العولمة» السابق الإشارة إليه، ص11.

4 ـ راجع ذلك بالتفصيل في دراستنا عن «العولمة الثقافية بين الإمكان والاستحالة» ضمن كتابنا: في فلسفة الثقافة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، 1999م، ص39 وما بعدها.

(1) القضـــاء على التنوع الذي خلق الله البشـــر عليه؛ فالبشـــر أجناس مختلفـــة وبيئات متفاوتـــة وظروف اجتماعيـــة واقتصادية متنوعـــة. ولا يمكن ـ تحـــت أي ضغوط وبأي وســـائل تكنولوجية مهما بلغت درجـــة تأثيرها ـ أن يُقضى على كل هذه الاختلافات التي فرضت هذا التنوع البشري المحمود.

(2) وأد الإبداع، فالتنوع البشـــري ـ القائم علـــى فردية الفرد واختلاف البيئات والظروف التاريخية سياســـياً واجتماعيـــاً واقتصادياً ـ هو أكبر دافع لتنوع الإبداع البشـــري، وأهم منابـــع الثقافات المتنوعة، وهـــو الذي يجعلنا دائماً نتحدث عن «ثقافات» متنوعة، وليس عن ثقافة واحدة بصيغة المفرد.

(3) إن محاولة تنميط الثقافات البشـــرية وقولبتها في ثقافة واحدة هي الثقافـــة الغربية عمومـــاً والأمريكيـــة خصوصاً يعني مخاطر شـــتى؛ حيث إن الثقافة الغربية عموماً والثقافة الأمريكيـــة على وجه الخصوص معروف أنها ـ على حد تعبير أحد الفلاســـفة ـ ثقافة البُعد الواحد. وسلبيات هذه الثقافة ـ وخاصة على الصعيد الأخلاقي ـ تتمثل في ما يلي:

(أ) الاتجاه نحـــو تغليب القيم اللذّيـــة على القيم الأخلاقيـــة والدينية، فالإشـــباع المادي لرغبات الجســـد هـــي المقصـــود الأهم للثقافـــة الغربية الســـائدة، وهذا من شـــأنه الإخـــلال بالتوازن داخـــل الإنســـان. وكم نادى الفلاسفة والمفكرون بضرورة إعادة هذا التوازن المفقود في الثقافة الغربية والأمريكية المعاصرة من دون جدوى[1].

(ب) إن ســـيادة الثقافة الغربيـــة والأمريكية المعاصـــرة وعولمتها بصفتها الســـابقة يعني تغير المثل الأعلى للإنســـان، الذي درج البشر على تأكيده عبر ثقافاتهـــم وحضاراتهـــم ودياناتهـــم المختلفـــة إلى ما يســـمى الآن «الإنســـان الاستهلاكي»، ذلك الإنســـان الذي انحصر طموحه في إشباع لذاته والاستمتاع بكل ما يمكنه اختراعه من وسائل جديدة تحقق له هذا الإشباع وذلك الاستمتاع.

1 ـ انظر على ســـبيل المثال: ألبرت اشفيتسر: فلسفة الحضارة، ترجمة عبد الرحمن بدوي ومراجعة زكي نجيب محمود، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1963م، ص4 - 6.
وراجع كتابنا: فلسفة التاريخ، منشـــورات الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ سلسلة الشباب (214)، القاهرة 2004م، ص58 - 60.

(جـ) إن عولمــة الثقافة تعني ـ ضمن ما تعني ـ فُقْــدان الانتماء القومي لصالح الانتماء الكوني؛ فالفرد في زمن العولمة يعد في نظر نفسه وفي نظر دعاة العولمة فرداً كونياً ومواطناً عالمياً، مما يقلل لدى أي فرد ـ في أي دولة وفي أي مكان في عالم اليوم ـ انتماءه إلى بلده و إلى قيمه المحلية.

(د) كمــا أن فقدان الانتمــاء القومي يعني ضمن ما يعني اتســاع موجة التغريب بين الشباب، فهم لم يعودوا ينتمون إلى مجتمعهم المحلي بقدر ما يتفاخرون بانتمائهم إلى ثقافة غازية غريبة عنهم وعن بيئتهم المحلية وعن معتقداتهم الأخلاقية والدينية الأصيلة.

شيوع مبدأ الغاية تبرر الوسيلة يعد نتيجة طبيعية لسيادة ثقافة الإشباع الجسدي، فما دامت الغاية هي إشباع رغبات الجسد فلا يهم من أي وسيلة أحصل على هذا الإشباع

(هـ) شيوع مبدأ الغاية تبرر الوسيلة يعد نتيجة طبعية لسيادة ثقافة الإشــباع الجسدي، فما دامت الغاية هي إشــباع رغبات الجســد فلا يهم من أي وســيلة أحصل على هذا الإشــباع، ومن هنا تتردى العلاقــة بين أفــراد الأســرة الواحدة؛ بيــن الآباء والأبناء، ويتمرد الشــباب على كل الروابط والقيم الأسرية والاجتماعية.

(و) تكريس ثقافة التفاوت الرهيب بين الأثرياء والفقراء؛ إذ من شــأن ما يســمى العولمة الاقتصادية أو الاقتصاد الكوكبي تحوّل الشركات متعددة القومية إلى شــركات عابرة للقوميات، يمكنها التلاعب باقتصادات العالم، والتساؤل هو: ماذا ستفعل الشعوب إزاء تلك الشــركات الرأسمالية النفاثة التي تعمل وفقاً لمبــدأ «إما أن تَأْكُل أو تُؤكل» على حــد تعبير مدير إحدى الشــركات الأمريكية[1]. إن تلك الرأســمالية النفاثة تصرّ على أن تصل إلى أكبر قدر من تكديس الثروة في يد أصحاب المشروعات الكبرى، ولا تترك للآخرين إلا الخليط من التســلية المخــدرة والتغذية الكافيــة التي تهدئ

1 ـ انظر: بول هيرســت وغراهام طومبســون: ما العولمــة ـ الاقتصاد العالمــي وإمكانات التحكم، ترجمة فالح عبد الجبار، الكويت، سلسلة عالم المعرفة (273)، سبتمبر 2001، ص 24.
وانظر كذلك: هانس بيتر مارتين وهارالد شــومان، فخ العولمة، ترجمة عدنان دعبس، سلسلة عالم المعرفة (238)، الكويت، 1989م، ص 27 - 36.

خواطرهم المحبطة على حد تعبير مؤلفي كتاب «فخ العولمة»[1]. ولا شك أن قطاعـات كبيرة من سـكان دول العالـم النامي قد بدأت تشـعر فعلاً بهذا التفاوت الرهيـب بين القلة التي تملك كل شـيء، وتتلاعب بالكثرة الغالبة التي توقف حلمها عند الضروري من المأكل والمشـرب، وعند توفير حوائط أربعة ذات سـقف تحميهـم من الموت جوعـاً وعراءً. لقد أسـفرت الأزمات المالية المتعددة منذ عشرين سـنة ـ على حد تعبير ايتهان كابشتاين ـ عن نتائج مفزعة، لا سيما بالنسبة إلى الفئات الأشد عوزاً والمحرومة غالباً من الخدمات الاجتماعية، وخاصة في أوروبا الشـرقية والبلـدان النامية[2]. لقد أصبحنـا نعيش ـ في ظـل العولمة بالفعـل ـ عصر مجتمـع «الخُمْس الثريّ والأربعة أخماس الفقراء» على حد تعبير بعض الاقتصاديين[3].

ولعل السؤال الآن هو: كيف نواجه هذه الآثار السلبية لثقافة ولأخلاقيات العولمة؟ وكيف نجنب شبابنا الوقوع في براثنها والتأثر بها؟!

ثالثـاً: استراتيجيـة مقترحة لمواجهـة الآثار السلبيـة للعولمة على أخلاقيات شبابنا:

بداية لا بد مـن تأكيد ضرورة الاسـتفادة مـن آليات عصـر العولمة؛ فالتعامـل معها بإيجابية يجعل من شـبابنا قـادراً على التعامـل مع العصر بآلياتـه المعلوماتيـة والتعليميـة والتدريبية، وتجعلـه قـادراً بالتالي على المنافسة في سـوق العمل الدولي، فليس الشـباب العربي بأقل قوة أو قدرة من شـباب الهند أو اليابان أو الصين أو ماليزيـا أو غيرها، فهو قادر ـ إن أحسـنا تعليمـه وتدريبه وتوجيهـه ـ على المشـاركة الإيجابيـة في حضارة العصر، وقادر على الإبداع والمنافسة رغم عظم التحديات وقلة الإمكانيات.

1 ـ المرجع السابق «فخ العولمة»، ص35 - 36.

2 ـ إيتهان كابشتاين: عقد اجتماعي جديد في سـبيل مرحلة جديدة من العولمة، نشر ضمن كتاب: مفاتيح القرن الحادي والعشرين الذي صدر عن اليونسكو بإدارة جيروم بيندي، ترجمة مجموعة من المترجمين، صدرت الترجمة عن بيت الحكمة بتونس، قرطاج 2003م، ص627.

3 ـ هانس پيتر مارتين وهارالد شومان، فخ العولمة، سبقت الإشارة إليه، ص21.

لكن الحرص على التعامل مع الجوانب الإيجابية لعصر العولمة والاستفادة منها لخير أفرادنا ومجتمعنا لا ينبغي أن ينسينا حقيقة أننا كثيراً ما نفعل الشر في الوقت الذي نظن أننا نفعل الخير. وفي المقابل كثيراً ما تكون السلبيات والشرور دافعاً للكثير من الإيجابيات والخيرات. وهذا يعني أن إدراكنا لسلبيات عصر العولمة التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة هو بداية الوعي بالطريق الصحيح للتعامل معها وتجنيب شبابنا آثارها السلبية.

تقوية قيم الثقافة القومية في نفوس الشباب؛ بحيث يشبّون واعين بالقيم والمبادئ الحضارية العربية والإسلامية، وخاصة الداعية إلى التوازن بين مطالب العقل والروح ومطالب الجسد، وتغليب المصالح العامة والمجتمعية على المصلحة الذاتية، والداعية كذلك إلى قيم التعاون والحوار مع الآخر.. إلخ

وفي اعتقادي أن التعامل الإيجابي من جانبنا مع عصر العولمة ـ وخاصة في جانبها السلبي ـ ينبغي أن يستند إلى أسس معينة يمكن أن تشكل إستراتيجية عربية لمواجهة مخاطر العولمة:

أولاً: تقوية قيم الثقافة القومية في نفوس الشباب؛ بحيث يشبّون واعين بالقيم والمبادئ الحضارية العربية والإسلامية، وخاصة الداعية إلى التوازن بين مطالب العقل والروح ومطالب الجسد، وتغليب المصالح العامة والمجتمعية على المصلحة الذاتية، والداعية كذلك إلى قيم التعاون والحوار مع الآخر.. إلخ.

إن من شأن تقوية عناصر الثقافة القومية والهوية الحضارية العربية والإسلامية في نفوس الشباب تكوينَ ذلك الذي يحلو للبعض تسميته «بالأمن الخُلقي» لدى أبناء المجتمع وخاصة من الشباب. وإن كنت أعتقد بضرورة أن يتكامل دور المؤسسات التعليمية والتربوية مع دور الأسرة في تحقيق ذلك. فضلاً على أن الأمن الخُلقي يتحقق في الأساس عن طريق الضمير الفردي والالتزام الشخصي الداخلي، وذلك لا يتم تكوينه من الخارج؛ بل من داخل الشخص ذاته وحرصه على الالتزام الديني والأخلاقي، والتوافق في الوقت ذاته مع ضرورات الحياة والتطور الذي يلحق بكل نواحيها[1].

1 ـ انظر: عثمان بن صالح العامر، دور المؤسسات التعليمية في تحقيق الأمن الخلقي والمجتمعي =

ثانياً: بناء عناصر القــوة الذاتية؛ فقوة أي أمة كمــا قلت في مؤلفات عديدة ســابقة[1] ـ إنما تنبع مــن داخلها وليس من خارجهــا؛ تنبع من إعادة البناء الذاتي لثقافتهــا واقتصادها وعلومهــا وتكنولوجيتها، وليس بالاعتماد على الآخر أياً كان ومهما كانت درجة تقدمه وتفوقه.

ثالثاً: تحديث نظمنا التعليمية بحيث يكون أهم عناصرها هو تدريب أبنائنا على التفكير العلمي والفلسفي والنقدي الذي يكسبهم مهارات التحليل والقراءة النقدية لكل ما يطالعونه سواء من كتب التراث أو من الكتب الغربية، ويجعلهم قادريــن علــى مواجهة عصر المعلومــات بعقليــة نقدية تســتوعب كل ما يفيد، وتستبعد كل ما يضر ويضيّع الوقت ويهدر الجهد، فإذا كان عصرنا معروفاً بأنه عصر المعرفة والمعلومات فالتعامل معه ينبغي أن يكون من خلال إســتراتيجية مبســطة مفادها: الإقبال على التعامل مع كل جديد بعقليــة نقدية مبدعة قادرة على أن تســتفيد وتفيد. إن المشــاركة في حضارة العصر ضرورة حتمية، ولن تكون المشاركة إيجابية إلا ببناء هذه العقلية النقدية المبدعة[2].

رابعاً: تقوية دور الأســرة والمجتمع في إرشاد الشباب للتعامل الإيجابي مع عصر الكمبيوتر والإنترنت، وذلك لا يكون إلا بزيادة وعي الآباء والأمهات بضرورة الإلمام بهــذه التقنيات الجديــدة والتدرب على اســتخدامها؛ حتى يكونوا مؤهلين لتوعية الأبناء إلى الاســتخدام الصحيح لهــا والحيلولة دون

= فــي عصر العولمة، نــدوة المجتمع والأمن التي عقــدت في كلية الملك فهــد الأمنية بالرياض 1425/2/21هـ http//www.minshawi.com/other/aamer.htm .

1 ـ راجع على سبيل المثال، كتابنا: ضد العولمة، ص54 - 55.
وأيضاً كتابنا: ما بعد العولمة، ص128 - 133.
وكذلك: في فلسفة الثقافة، ص127 وما بعدها.
وراجع أيضاً العديد من مقالات كتابنا: بين قرنين ـ معاً إلى الألفية السابعة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

2 ـ انظر: نبيــل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، الكويت ـ سلســلة عالــم المعرفة (265)، يناير 2001م، ص503 وما بعدها.
وراجع ما كتبناه بالتفصيل في كتابنا: في فلســفة التعليم ـ نحو إصــلاح الفكر التربوي العربي للقرن الحادي والعشرين، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة 2009م، ص80 وما بعدها.

وقوعهم في الخطأ في استخدامها، وإبعادهم عن ما يسمى الآن ظاهرة الإجرام الإنترنتي أو الانحراف الإنترنتي التي أدت وتؤدي إلى لجوء الشباب من ذوي القدرات العقلية العالية إلى توظيفها لارتكاب الجرائم بطريق الإنترنت مثل أفعال الابتزاز والإفساد المتعمد لأنظمة معلومات الغير أو التهديد أو سرقة الأسرار[1]. إلى آخر هذه القائمة من الأفعال الإجرامية لمستخدمي الإنترنت بطرق احتيالية يجرمها القانون.

خامساً: نشر ثقافة الإنترنت في مجتمعنا العربي على نطاق واسع؛ لأنها لم تعد ترفاً الآن؛ بل أصبحت ضرورة حتّمها التطور التكنولوجي المعلوماتي، ولا بد من التعامل مع هذا التطور بشكل إيجابي. وهذا سيتطلب ـ بحسب رؤية المختصين ـ من الجهات التي تملك الخبرة المعلوماتية المتقدمة ونظم أمن المعلومات في الوزارات والهيئات المختلفة رسمية كانت أو أهلية أن تعدَّ العدة لمواجهة المخاطر المترتبة على المعلوماتية، ويجب أن ترتكز خطة نشر هذه الثقافة المعلوماتية/الإنترنتية على محاور عدة، منها: (1) تحذير الأبناء من إعطاء معلومات شخصية عن أنفسهم للأشخاص الذين يتم التعارف بينهم عن طريق غرف الدردشة في الإنترنت. (2) تحذير الأبناء من مخاطر تنظيم لقاءات مباشرة مع أحد الأشخاص الذين تم التعرف عليهم عن طريق الإنترنت من دون استشارة الوالدين أولاً. (3) وضع جهاز الكمبيوتر في غرفة المعيشة أو أي منطقة مفتوحة في المنزل أو في النادي.. إلخ. (4) استخدام أنظمة حماية أو برامج تتيح للآباء معرفة المواقع التي زارها الأبناء عند انشغال أو غياب الآباء أو تمنعهم تلقائياً من الدخول إلى المواقع المحظورة[2]. (5) تأمين شبكات الكمبيوتر ضد الاختراق؛ إذ من الحماقة أن يترك المرء أو المؤسسة نظامه المعلوماتي من دون حماية بحيث يسهل الوصول إليه[3].

1 ـ انظر في ذلك: عبد الفتاح بيومي حجازي، الأحداث وجرائم الإنترنت ـ دراسة متعمقة في أثر الإنترنت في انحراف الأحداث، دار الفكر الجامعي بالإسكندرية، 2002م، ص275 - 281.
وراجع أيضاً: الأمن والإنترنت ـ مجموعة بحوث ودراسات عن الأمن المعلوماتي، صادرة عن مركز البحوث والدراسات بشرطة دبي وموقعه: www.dubaipolice.gov.ae

2 ـ عبد الفتاح بيومي حجازي، المرجع السابق، ص290 - 291.

3 ـ المرجع السابق، ص292.

سادســـاً: وضع تشـــريعات ومواثيق أخلاقية عربية للتعامل مع الإنترنت؛ بحيث يمكن تنظيم التعامل مع كل تقنياتها ومواكبة التطورات المتلاحقة في هذه التقنيات، ويمكن من خلالها كذلك وضع سياســة جنائية رشيدة تمكن المختصيــن من مكافحــة جرائم الإنترنــت، وتدريب العامليــن بالقضاء أو بالشرطة على أحكامها وتنفيذ هذه الأحكام[1].

ولا شــك أن هذه القواعــد والمواثيق الأخلاقيــة العربية ســتنبثق من المواثيق الأخلاقية الدولية التي تحدد التعامــل مع الإنترنت، وهي القواعد الأخلاقية بالشــبكة الموجهة إلى مســتخدميها لضبط تعاملهــم مع محتوى الإنترنت وتقنيات الشبكة، وتنقسم هذه القواعد الأخلاقية إلى أقسام؛ فمنها قواعد خاصة باســتعمال البريــد الإلكتروني، وأخرى خاصــة بمواقع الحوار والدردشــة وهــو الاتصال بين شــخص وشــخص، وقواعد لاتصال شــخص بجماعة، وقواعد لضمان صيرورة خدمات المعلومات على الإنترنت[2].

سابعاً: العمل على المشــاركة الإيجابية في المحتوى المعرفي للإنترنت على المســتوى الدولــي، فالإنترنــت ـ عكس كل وســائل الاتصــال الأخرى المكتوبة والمســموعة ـ يمكننا من أن نحقق ذاتنا من خلاله؛ إذ إننا ـ على حد تعبير جوال دو رســناي ـ أصبحنا فاعلين ومتفاعلين معه، نتمتع بإمكانية إنشــاء النص وطبعه، ونســتطيع أن نكوّن منتجنا التليفزيوني الذاتي بفضل الڤيديو على شــبكة الإنترنت، لقد أصبح بإمكاننا إذاً أن نشــارك في الفعل ونشارك في الإبداع، أصبح بإمكاننا أن نتشــارك في التبادل المعرفي؛ فعلى خلاف البريد الإلكتروني الذي يقوم بدور تبادل الرسائل أو بعض الاتصالات المسؤولة عن تبادل الكلمات، يمكننا أن ننشــئ بأنفسنا روابط ضخمة على صحيفة شخصية أو على صحيفة مؤسســتنا أو جمعيتنا تحيل شخصاً ما على أي موقع آخر في أي مكان في العالم[3].

1 ـ انظر: المرجع السابق، ص 299.

2 ـ علوى هند: أخلاقيات الإنترنت ـ دراســة تحليلية ميدانية من خلال منظور الأســاتذة الجامعيين بجامعة منتوري بقسنطينة، cybrarians journal العدد 15، مارس، 2008م.

3 ـ جوال دو رسناي: معلومات ـ شــبكات ـ هويات، ضمن كتاب «مفاتيح القرن الحادي والعشرين»، سبقت الإشارة إليه، ص 395 - 396.

وببســاطة أصبح بإمكان كلامنا في أي مكان من العالم أن يكون مؤثراً في الآخرين عبر ما ينشــره عليهم من خلال موقعه الخاص على الإنترنت، ومن ثم فكما نتأثر نحن ويتأثر شبابنا بالتدفق المعلوماتي الغربي عبر هذه الشبكة العنكبوتية العالمية، يمكننا ويمكن لأبنائنا التأثير في هذا المحيط المعلوماتي عبر تدفــق معلوماتي عربي ـ أو بأي لغــة أجنبية عالمية أخرى نجيدها ـ يعبر عن قيمنا وهويتنا ويدافع عن قضايانا، وينشر إبداعنا ليطلع عليه العالم الغربي، ويتأثر به الناس في الغرب.

إن العالم الآن ـ عَبْرَ هذه الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ـ أصبح يتجه إلى نوع جديد من المواطنة، وإلى شكل جديد من الديمقراطية يمكن أن يتشارك فيه الجميع ـ رغم اختلاف جنسياتهم وهوياتهم ولغاتهم وقومياتهم ـ في الرأي وفي الحكم على الأشياء، وفي الاستفادة المعلوماتية المتبادلة

إن العالم الآن ـ عَبْرَ هذه الشبكة العنكبوتية (الإنترنــت) ـ أصبــح يتجه إلــى نــوع جديد من المواطنــة، وإلى شــكل جديد مــن الديمقراطية يمكن أن يتشــارك فيــه الجميع ـ رغــم اختلاف جنســياتهم وهوياتهــم ولغاتهــم وقومياتهم ـ في الرأي وفي الحكم على الأشــياء، وفي الاســتفادة المعلوماتية المتبادلة. إنها المواطنة والديمقراطية الإنترنتية ـ إذا جاز التعبير ـ التي ربما تشكل في المســتقبل القريب هويــة جديدة تتجــاوز حدود الزمان والمــكان المحلييــن إلى حــدود الفضاء اللانهائي غير المحدود. إننا نشــهد اليوم انبثاق عالم فضائــي جديد يحتوينــا، ويحيلنا بالضرورة ـ كما يشــير دو رســناي ـ إلى إشــكالية الهوية: فهل نحن مدمجون في كيان واحد يتجاوزنا، أم لنا مبادلات بين أفراد يحافظون على هويتهم الخاصة؟ هل نحن هويات للشبكة العنكبوتية أم نحن الشبكة ذاتها؟ تلك هي المسألة الآن. وعلى حد تعبيره إن نظرية الشــبكة تقــول: إننا الكل والجــزء في آن واحد، ولكن ـ وكمــا يضيف هو ـ يتعيّن على السياســة والأخــلاق، وعلم الأخلاق بل يتعين على بعض الطموحات الروحية أن تجيب على هذه المسألة الأساسية[1].

1 ـ نفسه، ص 398.

والحقيقــة أن هذه الإشــكالية ـ إشــكالية الهوية في عصــر الإنترنت ـ لا تهم كثيراً هنا إذا ما كان المرء متمســكاً بهويتــه وقيمه ـ وعقيدته جزء منها ـ ومشاركاً إيجابياً فيها. فقد يكون هو ـ رغم أنه أحد الأجزاء ـ القادر على أن يؤثر فــي الآخرين، ويضمهم إلى هويته الحضارية إلى الدرجة التي يمكن أن يتوحدوا معه فيطالبــوا بما يطالب به، ويدافعــوا عما يدافع عنه، ويؤمنوا بما يؤمن به.

إن صراع الهويــات ـ إذا ما تكافأت مع الآخر في المشــاركة من خلال قيمي وعَقَــدي وعلمي وإبداعاتي ـ لن يكون ذا قيمة كبيرة؛ لأنه ســيكون في النهاية لصالح المبادئ والقيم الأكثر تعبيراً عن إنســانية الإنسان، والأكثر شمولاً في نظرتها لعلاقة الإنسان بالكون وباللّه وبالآخرين.

إن الصــراع هنا سيســتبدل بالحــوار، والحوار ســيمكّن الطرف الأكثر إقناعاً من جذب الآخرين، فيؤمنــون بما يؤمن به، ويدافعون عما يدافع عنه. فهل نحن جاهــزون لهذا الحوار الإيجابي العالمي عبر المشــاركة في صنع المحتــوى المعرفي لهذه الشــبكة العنكبوتيــة الكونية؟ أعتقد أنه ســيكون بإمكاننا ذلك لو أحســنا الفهــم، ولو امتلكنا القدرة علــى التحليل والجدل والإقناع العقلي، وقبل كل ذلك وبعــده لو امتلكنا القدرة على الإبداع العلمي الــذي يجعلنا قادرين على المنافســة والتفوق. وذلك هــو التحدي الحقيقي لشبابنا الواعي في عصر العولمة والمعلومات.